

عيالك يا مصر ..

بقلم: رائف محمد الويشي



2 سبتمبر 2009

أعتقد أن ملايين الشرفاء في مصر قد تألموا شديد الألم عندما علموا من مقال الصحفي روبرت فيسك في الأسبوع الماضي عن وجود المناضل العقيد دكتور محمد غنام في السجون السويسرية ..

لقد حصل العقيد الدكتور غنام علي وسام الجمهورية وكان المدير السابق لمركز البحوث القانونية بوزارة الداخلية ، وكان أستاذا للقانون الجنائي بأكاديمية الشرطة والعديد من كليات الحقوق المصرية ، هو الحاصل علي درجة الدكتوراة في القانون الجنائي من جامعة روما بايطاليا ، ومؤلفاته – كما يقول المختصون - لها حضور ظاهر في معظم التشريعات والقوانين المصرية الحديثة ..

أجبرتي صدمة الخبر أن أبحث في عدة اتجاهات مختلفة عن التفاصيل ، علمت أن سويسرا اختطفه من أحد شوارعها رغم حصوله على حق اللجوء السياسي بها بعد أن ترك مصر احتجاجا على تدهور حقوق الإنسان المصري ، علمت أيضا أن منظمات حقوق الإنسان والأمم المتحدة تتواطأ جميعها مع الحكومة السويسرية والتي تتواطأ بدورها مع الحكومة المصرية ، فقد رفضت سويسرا منذ 2007 كل الطلبات المقدمة لها لرؤيته أو حتى سماع صوته ، كما رفضت إرسال شكواه إلى المحاكم أو حتى سماع الشهود كي تحمي جهاز الأمن السويسري بعد فشله في تجنيده .. الخلاصة هي أن العالم الجليل مازال مختفيا عن الأنظار داخل السجون السويسرية للعام الثالث ، مما يؤكد تعرضه لاعتداء وحشي عند اختطافه ..

عدت بذاكرتي إلى فبراير 2005 عندما اعتقلوني في أحد مقر أمن الدولة في القاهرة دون ذنب فعلته وتعرضت إلى تعذيب وحشي ، كانت نتيجته إجراء تسع عمليات جراحية في عيني بسبب تهتك الشبكية فيهما ، بينما كانت زوجتي – أمريكية لا تتحدث العربية – محجوزة في سيارتنا أمام مركز الاعتقال تبكي مع أطفالها الثلاثة لمدة نصف يوم في برد الشتاء ثم غادروا في الثانية صباحا عندما فقدوا الأمل في إطلاق سراحى ..

حدث أن توأطأت السفارة الأمريكية مع السلطات المصرية وألقت بظلال من الكتمان على ما حدث ، لم يكن هناك ذنب ارتكبه هنا أو هناك ، لم أكسر القوانين يوما وكنت رجل عائلة يبتعد عن كل ما هو متطرف ، لكن جريمتي الكبرى هي أنني رفضت العمل مع جهاز الأمن المصري في مدينة نيويورك ، حينها شعرت بما يشعر به الآن د. غنام وهو وحيدا في زنزانته ..

كما عدت بذاكرتي أيضا إلى يونيه 2007 عندما أخبرت السفارة الأمريكية في القاهرة السلطات المصرية بأن رسائلي إلى أعضاء الكونجرس هي السبب في قيام الكونجرس بتجميد مائتي مليون دولار من أموال المساعدات ، حينها شاركني ابني القاصر ألم الاعتقال والتعذيب في لاطوغلى وكاد أن يفقد حياته .. في بداية مراحل التعذيب كان هناك أربعة من موظفي السفارة بجانب الغرفة التي كان يعذب فيها ابني وصرخاته كانت تملأ المكان وتصل إليهم .. رفضت السفارة الأمريكية طلبي في لقاء شهود العيان ، عدت برسائل الفاكس " إلى السيناتور " بارك أوباما وأخبرته بوجود شهادات بامضاء وبصمة شهود العيان من المعتقلين في السفارة التي رفضت مقابلتهم .. هنا أنكرت الخارجية الأمريكية في ردها عليه أن سفارتها بالقاهرة قد تسلمت منى أي وثيقة

لشهود العيان تفيد تعذيبي وابني القاصر في لاطوغلى .. أرفق أوباما في رسالته الثالثة لي رد وزارة الخارجية له ، وكان ردا مليئا بالكذب والدهاء والتضليل والتأمر بكل ما تحمل تلك الكلمات من معاني .. حينها شعرت بما يشعر به الآن د. غنام وهو وحيدا في زنارته ..

غادرت وأسررتي مصر في أغسطس 2008 وتكفل الأطهار من أمثال د. غنام من عيال مصر بإخراج ما أحمل من وثائق تدين الحكومتين كي أستعيدها منهم في أمريكا ، وبدأت حملة الانتخابات .. المرشح باراك أوباما - الذي يعلم تفاصيل ما تعرضت له في مصر - يدين بشدة في حملته تحالف بلاده مع من أسماهم بـ " طغاة الشرق الوسط " ، إنه لا يذكرها مرة واحدة بل يكررها في جولاته الانتخابية بين الولايات المنتشرة طولا وعرضا ..

حدث المستحيل وفاز باراك أوباما وأصبح المظلومون هم أشد الناس فرحا بذلك ، ولم لا وهم ينتظرون المستحيل الآخر بالحصول على حقوقهم .. أرسلت الكثير من الفاكسات إلى الرئيس أوباما أطلب منه تحقيقا فيما حدث لي ولطفلي من تعذيب وحشي دون ذنب فعلناه ، لا خبر منه .. فقدت الأمل فيه فأرسلت بعشرات الفاكسات إلى أعضاء اللجان المختصة الكونجرس بمجلسيه أطلب منهم إجراء تحقيق فيما حدث ، ليس فقط بناء على ما أدعيه بل أيضا طبقا لما أحمله من وثائق ، لا خبر أيضا ، ماذا حدث لهم جميعا؟! .. لقد تلقيت رسائل عديدة من أعضاء الكونجرس في 2007 ومنهم أوباما نفسه والذي أرسل لي ثلاث رسائل وذلك عندما كنت أعيش في مصر ، بينما أعيش الآن معهم ولم يعبا أي منهم بشكوتي!!..

لم أكن أدرك أن ضرورات الحملة الانتخابية كانت تقتضى منهم وقتها جمع أخطاء الإدارة السابقة ، أما وقد فاز أوباما ورجاله في الكونجرس فلذهب المظلومون إلى الجحيم ، عزز ظني هذا ما حدث من انحناء للرئيس باراك أوباما أمام أحد من أسماهم بـ " طغاة الشرق الأوسط " ثم زيارته لطاغية مصر الفاسد وزاد عليه استقباله له في البيت البيض .. حينها شعرت بما يشعر به الآن د. غنام وهو وحيد في زنارته ..

ذهبت إلى منظمات حقوق الإنسان الإسلامية وغير الإسلامية هنا في أمريكا ، كما أرسلت العديد من الفاكسات إلى اللجان المعنية بمنظمة الأمم المتحدة في جنيف وغيرها .. لقد لجأت إليهم منذ النصف الثاني من 2009 بعد أن فقدت الأمل في ساسة واشنطن المنافقين ، فهم كما كانوا منذ عشرات السنين ، حتى وإن غيروا لون قشرتهم ..

منظمة أولى ، ثانية ، ثالثة ، رابعة ، جميع المنظمات تتهرب من المسؤولية ومعها لجان الأمم المتحدة .. كانت أولى تلك المنظمات قد أخبرتني بأنها لا تملك الإمكانيات التي تتطلبها قضيتي ، رغم أن الإعلام يصفها بأنها كبرى منظمات حقوق الإنسان الإسلامية في واشنطن .. كانت الصدمة عندما سافر رئيس تلك المنظمة الحقوقية ومعه العديد من أعضائها إلى طهران بغرض التوسط للإفراج عن الصحفية الإيرانية المولدة والأمريكية التجنس روكسانا صبري ، فهل كانت قضيتي تتطلب إمكانيات أكثر مما فعلوه في إيران بطلب من ساسة واشنطن؟! ..

طاردتني علامات استفهام كنت أرفض تصديقها حول تلك المنظمة ، أجريت اختبارا كي أتأكد من حقيقة نشاطها ، طلبت من إدارة تلك المنظمة " الكبرى " أن تقوم بترجمة الخطاب الذي تحمله مدونتي من العربية إلى الإنجليزية ، وهو إجراء متواضع ويقع ضمن أبسط إمكانياتها .. إنها قضية أخطر من قضية روكسانا صبري في طهران ، والتي بلغ الدلال بها رفض تناول الطعام في مكان اعتقالها وجعلها ساسة واشنطن على الصفحة الأولى من جرائد أمريكا ، بينما كنت أعذب وطفلي القاصر في مركز أمن الدولة بالقاهرة لأيام ، وبعلم تام من السفارة الأمريكية حيث أشرف رجالها على تعذيبنا في بداية مراحلها ، ومنع عنا الطعام والشراب والنوم وشهادات زملاء الاعتقال تؤكد ذلك ..

أزعم أن طلبي المتواضع هذا من تلك المنظمة " الإسلامية الكبرى " كان أحد أبسط حقوقي عليها بسبب ما تدعيه من تصديها للمظالم التي تواجه الأمريكيين من أصل عربي ، بناء على ذلك تقوم بجمع ملايين التبرعات من المساجد في جميع الولايات .. صدمتني أنهم تهربوا من ترجمة هذا الخطاب وفي النهاية رفضوا القيام بذلك .. حينها شعرت بما يشعر به الآن د. غنام وهو وحيد في زنارته ..

أخي العقيد الدكتور محمد غنام ، كان يمكن لك ألا تغادر مصر عقب حصولك على الدكتوراة في القانون من إيطاليا وتتسلق أعلى

الرتب في وزارة البلطجة وتضع على أكتافك بعض الديكور من عرض الدنيا الزائل .. كان يمكن أن يكون لك مكتب ربما في مبنى لاطوغلى الذي كاد طفلي القاصر أن يموت بداخله .. كان يمكن أن تأكل أشهى الطعام من دماء شعبك وتتقاضى أعلى المرتبات من أموال مصر المنهوبة .. كان يمكن أن تنتزع احترام الناس في شوارع مصر بالقوة ، وتأمركم فلا يردوا لك طلبا .. كان يمكن أن تكون كمؤمن آل فرعون وذلك أضعف الإيمان .. لكنك اخترت الطريق الصعب والأكثر ألما وهو طريق النضال والبحث عن العدالة .. لم يكن لي شرف الذهاب إلى هذا الطريق كما فعلت أنت بل دفعني إليه ما تعرضت له ..

أخي العقيد الدكتور محمد غنام ، كانت أجهزة أمن الطاغية تشاوشيسكو – السيكوريتاتيا - تضع أفضل رجال رومانيا وأطهرهم في السجون حيث أنت الآن ، وكانت تجبرهم على ابتلاع أدوية الأمراض العقلية وربما يفعلون ذلك مع الآن في سجون سويسرا ، وكانت تمنعهم من تناول الطعام بأيديهم بحجة الخوف على حياتهم من الانتحار فيقوم أعضاؤها بذلك ولا عجب إن فعلوها معك ..

لم يسبق لي شرف لقائك لكنني ما زلت أذكرك في لقاءاتك العديدة مع فضائية الجزيرة ، أتذكر صوتك في عام 2005 وأنت تحلل في فضائية الجزيرة الحديث الصحفي الذي أجراه طاغية مصر الفاسد في صحيفة " الجمهورية " الإيطالية ، ثم سمعته بعد ذلك مرتين في شهور تالية في نفس الفضائية ، ثم انقطع الصوت دون معرفة السبب حتى أخبرنا روبرت فيسك .. فصبر جميل ..

رائف محمد الويشي

ميزورى – أمريكا

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على لبقيس ومدونته ، وعنوانها كما يلي :

www.ahrarmisr.com